

لانتهاج خط المناهضة المسلحة للاستعمار والسعي إلى إبرام اتفاق مع حزب «بلشفيكي» دون أي تحفظ أو حذر. فالزعماء الذين وجهوا الرسالة إلى الحزب عرضوا خذلان دول الحلفاء (وخاصة فرنسا وبريطانيا) للعرب بعد الحرب الأولى، ويأسهم من التوصل إلى تحقيق الأهداف القومية بالسبل التقليدية خلال أكثر من اثني عشر عاماً، وعقدتهم العزم على توسل كل السبل لجمع شتات الشعب وإيصاله إلى حقوقه وتشكيل حكومة شعبية محضة وتوحيد البلاد السورية بحدودها الطبيعية. ثم استخلص مرسلو الرسالة أنه لما «كان الحزب البلشفيكي غير استعماري، ومن رأيه أن يمد يد المساعدة إلى الشعوب الضعيفة وكنا واثقين من ذلك، قررنا، نحن زعماء البلاد، في اجتماعنا الواقع مع أبي يوسف في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٣٢، أن نكلف حزبنا الوطني بان يفوض الحزب البلشفيكي بالاتفاق معنا على تأمين غايتنا المذكورة ومعاونتنا، فعلياً، بالمال والمسلح حسب الضرورة»^(٥١).

في نفس الوقت، تقريباً، أي في مطلع الثلاثينات، ظهرت إشارة ملموسة لكنها مقتضبة إلى المحاولات الأولى للتنظيم النقابي في شرق الأردن. ففي ذلك الحين، شرع الدكتور صبحي أبو غنيمة في إقامة «اتحاد العمال الأردنيين» الذي كان، حسب والتر لوكير، يضم حوالي ألفي عضو في صفوفه، واستمر بضعة أشهر قبل أن تقوم السلطات بحله^(٥٢).

واستناداً إلى لوكير، أيضاً، فإن هذه المحاولة لم تكن الوحيدة في الثلاثينات. فقد تلتها محاولة جديدة لتنظيم العمال نقابياً في العام ١٩٣٦، وقد جاءت بمبادرة من قاسم ملح، الذي قيل أنه كان محاطاً بإطار من أصدقاء الشيوعيين الفلسطينيين. وهذه المحاولة تعرضت، بدورها، للاجهاض، إذ جرى إبعاد الأشخاص المعنيين بالتنظيم العمالي المذكور إلى خارج البلاد ومنعوا من دخولها ثانية^(٥٣).

وفي العام نفسه (١٩٣٦)، ظهرت إشارة لاحقة إلى أنه جرت خلاله محاولة لتنظيم نقابة أو جمعية عمالية لسواقى السيارات. وذكر أن إضراباً للسواقين قد حدث في هذه الأثناء^(٥٤). لكن، ليس من المعروف أن كانت هذه هي ذاتها النقابة التي حاول إقامتها قاسم ملح أم هي محاولة أخرى من مسؤولية أشخاص آخرين. ومع أن البحث قد يجلو، في المستقبل، الغموض المحيط بهذه المحاولات المتكررة في الثلاثينات، فإن الملفت للانتباه هو أن بعض هذه المحاولات قد تم على أيدي المثقفين الوطنيين الأردنيين.

فصبحي أبو غنيمة، الذي كان طبيباً تخرج حديثاً من الجامعات الألمانية وأصبح فيما بعد أحد أقطاب المعارضة الوطنية في شرق الأردن، ارتبط اسمه بأول محاولة معروفة لإقامة «اتحاد عمالي» في الأردن، في أوائل الثلاثينات. ومع أننا لم نجد أي إشارة أخرى، باستثناء ما أورده والتر لوكير عن هذا الدور لصبحي أبو غنيمة في إنشاء اتحاد للعمال الأردنيين، إلا أنه بالقياس على أدوار مماثلة للمثقفين في العمل النقابي في المنطقة يمكن أن نتصور أن محاولته هذه ربما تأثرت بانطباعاته أثناء الدراسة عن قوة الحركة النقابية العمالية في ألمانيا في أواخر العشرينات ومطلع الثلاثينات. كما يمكن فهم هذه المحاولة باعتبارها محاولة من هذا المثقف الوطني للاستناد إلى التنظيم النقابي العمالي من أجل الوصول إلى قاعدة اجتماعية حديثة وإطارات منظمة لمواجهة السلطة الرجعية والسلطات الاستعمارية البريطانية، أو ربما كانت، أيضاً، محاولة للحصول على غطاء قانوني لممارسة النشاط السياسي، خاصة وأن طلب تسجيل جمعية عمالية كان أسهل من طلب ترخيص حزب سياسي معارض، ولا سيما قبل إقرار قانون جديد للجمعيات العام ١٩٣٦،